

هيئة تحرير الشام، البنية التنظيمية والعسكرية ومصادر التمويل! الجزء الثالث أحمد الرمح



تركز هذه الدراسة على هذا التنظيم السلفي الجهادي، باعتباره الأكثر أهمية بين التنظيمات الجهادية العاملة في سوريا. لتدرس في الجزء الثالث والأخير المحاور التالية:

- الهيكل التنظيمي لهيئة تحرير الشام.
- المجلس العسكري الثلاثي في إدلب
- تطور البناء الهيكلي لهيئة تحرير الشام.
- مصادر التمويل.
- المعوقات التي تعترض طريق الهيئة
- سيناريوهات مستقبل هيئة تحرير الشام.
- المراجع

الهيكل التنظيمي لـ «هيئة تحرير الشام» جبهة النصر سابقاً

يقف على رأس هيكل «هيئة تحرير الشام» (أمير) كما هو الحال في كل البنى التنظيمية للحركات الجهادية، وما يزال الجولاني الأمير العام للتنظيم الذي تعددت أسماؤه منذ النشأة وحتى اليوم، ولكل منطقة من مناطق نفوذ «النصرة»، قائد عسكري يطلق عليه أيضاً لقب «أمير»، وكل أولئك الأمراء، يبايعون الأمير العام على السمع والطاعة، وتتفرد محافظة ادلب بوجود وال عام يقف على رأس الهرم الإداري، ووالٍ خاص مسؤول عن قطاع البادية، وكلاهما مستقل عن الآخر في الاختصاص. (٣٢)

وتشير منشورات جبهة النصر إلى أن هيئتها الإدارية تسمى «مجلس شوري المجاهدين» أو مجلس الشوري، وهم مجموعة من الأمراء، يتوزعون المهام الإدارية ضمن مكاتب مختصة (المكتب العسكري والاقتصادي والأمني والشرعي والعلاقات العامة).

واستحدثت «جبهة النصر» تقسيمات عسكرية بخلاف التقسيم العسكري التقليدي المعروف لدى الجيوش، وفق ما يلي:

أولاً: المجموعات: وتسمى كذلك المضافات، تتألف من (٢٠-٤٠) شخصاً، بقيادة أمير عسكري، يبايعه عناصر المجموعة على السمع والطاعة وتنفيذ المهام الموكلة للعنصر دون اعتراض. (٣٣)

ثانياً: السرايا: تضم عدة مجموعات، ويتراوح عدد عناصر كل سرية بين (١٠٠-٢٥٠) يقودها أمير عسكري، يبايعه أمراء المجموعات، ويملك هامش من الاستقلالية في اتخاذ القرارات العسكرية في مجال نفوذه دون الرجوع إلى القيادة الأعلى، كـ «محاسبة العناصر أو أمراء المجموعات في حال المخالفة».

ثالثاً: القواطع: قسمت النصر مناطق نفوذها إلى قطاعات، ولكل قاطع أمير يشرف على العمل العسكري والدعوي والإغاثي والقضائي، ويتمتع أمير القاطع بسلطات واسعة ضمن قاطعه، ومنها قاطع ادلب وحماة وحلب والساحل والحدود وباقي المناطق الخاضعة لسيطرتهم ويرأس كل قاطع أمير، وغالبيتهم من الجنسيات العربية حتى العام ٢٠١٦م حيث بات أغلب أمراء القواطع من الجنسية السورية. (٣٤)

رابعاً: مجلس شوري المجاهدين: ازداد عدد أعضائه من (١٢-١٨) تغيرت وجوههم مع التطورات السياسية والعسكرية في بنية التنظيم، وكان من أبرزهم حتى العام ٢٠١٣م، «الجولاني والظواهري، والبغدادي، و«أبو علي العراقي وأبو محمد العدناني وأبو مارية القحطاني»، وغيرهم، وبعد انفكك النصر عن تنظيم القاعدة بقي «الجولاني وأبو فراس السوري وأبو الفرج الفرغلي وأبو اليقظان المصري وأبو جلييب الأردني»، وبعد الخلاف بين الجولاني ورموز القاعدة في مجلس الشوري، قتل بعضهم، وأعلن بعضهم الآخر استقالته من المجلس. وبقي من مجلس الشوري الأول (الجولاني، وأبو ماري القحطاني، وأبو الفرج الفرغلي). (٣٥)

٣٢. بالصور.. الهيئة تبدل وجهها، موقع زمان الوصل، رابط الكتروني

٣٣. والي البادية، سوري الجنسية، من محافظة دير الزور، يلقب بالمشهداني.

٣٤. لقاء مع أمير مجموعة في قطاع إدلب عام ٢٠١٨م.

٣٥. لقاء مع قائد عسكري في قطاع البادية ٢٠١٧م.

التشكيلات العسكرية للهيئة:

جيش النصر:

وهو جيش خاص بالمعارك والمؤازرات يُمثل القوة المركزية للجبهة، والجناح العسكري لقيادتها، وهو ورقة إضافية لها في بقية القواطع الواقعة في شمال سوريا، وأحد أهداف تأسيس هذا التشكيل العسكري هو ترسيخ الولاء لقيادة النصر التي باتت تعاني بعض التصدعات والتباين في التوجهات، خصوصاً فيما يتعلق بقضية فك الارتباط بتنظيم القاعدة الأم في أفغانستان، ودعم قيادات بعض الفصائل كأحرار الشام وفيلق الشام وغيرهما، إضافة إلى أن وجود قوة مركزية ذات جاهزية عالية في شمال سوريا يمنح النصر نوعاً من الحصانة والمنعة ضد أي محاولة تستهدف وجودهم وتوقيت إنشاء هذا الجيش يشير إلى توجس وحذر لدى قيادة جبهة النصر من الفترة المقبلة. (٣٦)

العصائب الحمراء «كوماندوس إسلاموي»:

مهامها القيام بعمليات خاصة خلف خطوط العدو، وفي أواخر العام ٢٠١٦ أوكل الجولاني أمر تأسيس وتنظيم وتدريب هذه الوحدة لشركة «بلاك ووتر إسلامية» اسمها «تاكتيكال الملاحم». (٣٧) وتتميز قوات العصائب الحمراء بالتدريبات العسكرية القاسية والبدنية العالية والتوجيه الشرعي اللازم، كما تنتشر في أغلب المناطق المحررة وتتلقى دعماً واهتماماً خاصاً من الهيئة كونها ركيزة أساسية في العمليات العسكرية. وسميت المجموعات باسم «العصائب الحمراء» أسوة بالصحابي الجليل أبي دجانة -رضي الله عنه- والذي عرف بالشجاعة والإقدام وكانت له عصاية حمراء يرتديها تُميّزه في المعارك.

ونفذت العصائب الحمراء العديد من العمليات الموجهة للنظام المجرم، وكان آخرها العملية الانغماسية بقرية الترابيع بريف حماة، والتي قتل فيها ١٨ جندياً للنظام السوري بينهم ٤ ضباط، و٧ جنود». (٣٨)

جهاز الأمن العام:

جهاز أمني مستقل، كان يحمل اسم (القوة الأمنية) يعمل بالتنسيق مع الإدارة المركزية لهيئة تحرير الشام، حيث عيّنت تحرير الشام شخصاً بصفة «أمني عام» لكل مدينة أو منطقة. ويعمل تحت إشراف الأمني العام شبكة غير محدودة من الأمنيين والمباحث يعملون بصفة مدنية في كل مؤسسات المجتمع المدني (صحة، تعليم، مجالس محلية، بلديات، منظمات، نقابات.. الخ) يقومون بعمليات الرصد ونقل الأخبار وإعداد التقارير كل من حسب موقع عمله إلى الأمني العام للمنطقة التي يتبعون لها، وبدوره الأمني العام يستخدم صلاحياته اللامحدودة في تنظيم أي عملية أمنية. ولديه صلاحيات استخدام كافة الأسلحة وتحريك كافة المقدرات العسكرية لهيئة تحرير الشام خلال عملياته. (٣٩)

التخطيط العسكري:

يضع «الجولاني» وأمرء القواطع الخطط العسكرية للمعارك، ضمن «غرف عمليات عسكرية»، تقع في الخطوط الخلفية للمعارك، وعادة ما تكون الغرف مشتركة مع باقي الفصائل العسكرية المسلحة مثل تجربة جيش الفتح في معركة «ادلب»، أو غرف تخص النصر في المعارك ضد نظام الأسد، أو في المعارك ضد فصائل المعارضة.

صنوف القوات وأسلحتها والعقيدة العسكرية

مرت «تحرير الشام» «جبهة النصر» سابقاً بمحطات كثيرة منذ تشكيلها عام ٢٠١٢، تعرضت خلالها لإعادة تشكيلها غير مرة وبخاصة في أعقاب التطورات العسكرية التي خاضتها والتي تركت آثارها عليها، سواء من ناحية العنصر البشري أم القدرات العسكرية والاستعدادات القتالية. وبات الأمر بحاجة في كل مرحلة يحدثها تحول سياسي إلى إعادة هيكلة وتسليح. وتجدر الإشارة إلى أن «قوات النخبة» في «النصرة» و«فتح الشام» و«تحرير الشام» مثلت دعامة عسكرية أساسية لتنفيذ استراتيجية تنظيم «الجولاني» لقمع أية حركة مناوئة لسياسات هذا التنظيم. خاضت معارك شرسة في مواجهة نظام الأسد، في المعارك بين عامي (٢٠١٣-٢٠١٩)، وكذلك ضد فصائل المعارضة المسلحة والتنظيمات «الجهادية».

٣٦. «لماذا انشق أبو البقطان المصري عن «تحرير الشام»؟ موقع المدن، رابط الكتروني

٣٧. «جيش النصر» قوة مركزية جديدة تنشئها «جبهة النصر» في سوريا، القدس العربي، رابط الكتروني

٣٨. «العصائب الحمراء»، موقع بناء، رابط الكتروني

٣٩. لقاء خاص مع قيادي في جهاز الأمن العام التابع لهيئة تحرير الشام.

جدول: قدرات «تحرير الشام» العسكرية

طائرات مسيرة	صواريخ الفيل	مدفعية الهاون من عيار ١٢٠ و ١٦٠ ملم	الدبابات والعربات المدرعة	العسكر النظامي (بالآلف)	هيئة تحرير الشام عام ٢٠٢١
مئات الطائرات ذات الصنع المحلي	مئات الصواريخ	مئات	١٦٠	١٠ آلاف مقاتل	

المصدر: مجموعة مصادر عسكرية من قياديين في «هيئة تحرير الشام وفيلق الشام».

تعتبر «هيئة تحرير الشام» الجسم العسكري الأبرز في محافظة إدلب من حيث العدد والعتاد ونوعية المقاتلين، يتراوح القوام الفعلي لهذه القوات، التي يقودها «الجولاني» بين ١٠٠٠٠ - ١٢٠٠٠ عسكري، فيما تقول بعض المصادر: إن العدد بلغ ٢٥٠٠٠ عسكري. (٤٠)

معظمهم خضعوا لمعسكرات تدريبية عديدة ويتميزوا بأداء قتالي جيد إلى جانب الفكر الجهادي الذي يحملونه، ومن أبرز تشكيلاتها «العصائب الحمراء»، جيش أبي بكر، جيش عمر ابن الخطاب، جيش عثمان ابن عفان، جيش علي ابن أبي طالب». الذين تدريبوا على يد «خالد الشيشاني» وفريقه الذي أحدث شركة عسكرية خاصة لتدريب المقاتلين في إدلب تحمل اسم «ملحمة تكتيكال». (٤١) كما أن جميع المدربين في فريق الملحمة هم مقاتلين سابقين في جيوش بلدانهم وغالبيتهم من دول الاتحاد السوفييتي سابقاً.

التسليح:

تمتلك «هيئة تحرير الشام» سلاحاً يميزها عن باقي التشكيلات العسكرية في المعارضة السورية، فلديها رصيد هائل من العربات المفخخة والاستشهاديين، التي غالباً ما يتم استخدامها تجاه المواقع ذات التحصين العالي، ذلك إلى جانب ترسانتها من صواريخ «الفيل» محلية الصنع والتي يبلغ مداها نحو ٦ كم، بقدرة تدميرية تغطي دائرة قطرها نحو ٣٠٠ متر. كما أنها تمتلك ورشاً لتصنيع مدافع وذخائر مدفعية الهاون من عيار ١٢٠ و ١٦٠ ملم، الأمر الذي ينعكس إيجاباً من حيث التوفر وكمية الانتاج وقلة التكلفة، و ينعكس سلباً على الأداء العسكري وتحقيق الاصابات، كما تمتلك تحرير الشام أكثر من ١٦٠ دبابة وعربة مدرعة، إضافة لمئات العربات المزودة برشاشات ثقيلة ومدافع ٥٧ ملم. (٤٢)

تركيا تنهي التصنيع العسكري المحلي:

أصدرت تركيا أمراً يقضي بإيقاف ورش التصنيع العسكري في محافظة إدلب، وأوكلت المهمة إلى هيئة تحرير الشام التي قامت بدورها باستدعاء كافة المصنعين وخبراء المتفجرات الذين يعملون بشكل شخصي أو يتبعون لفصائل عسكري وأبلغتهم بضرورة إيقاف نشاطاتهم في التصنيع العسكري وتسليم كافة المعدات والخامات الأولية لديهم، لتقابل برفض من قبل بعض مصنعي المفخحات، وفي ٢١ من أبريل/نيسان الفائت داهمت قوة أمنية تتبع لتحرير الشام منازل الصناعيين العسكريين، واعتقلت بعض منهم دون أي توضيح لأقاربهم أو معرفة مصيرهم حتى اللحظة، كما تم اعتقال عدد من المصنعين الذين يعملون بشكل تجاري خاصة لمقالع الحجارة والرمل.

وفي ٢ من مايو/أيار الجاري وقع انفجار هائل بالقرب من بلدة الفوعة تبين أنه ورشة تصنيع عسكري تتبع لفصيل «أحرار الشام»، دون أن توضح أسباب الانفجار وكيفية وقوعه، وتبعه في ذات اليوم انفجارين أحدهما لمواد متفجرة ملقية في مكب للنفايات قرب مخيم باب الهوى، والثاني مدججة مهجورة في أطراف مدينة إدلب الغربية، يرجح أن بعض المصنعين قاموا بإتلافها بعد أن لمسوا جدية تحرير الشام في ملاحقتهم. (٤٣)

٤٠. مجموعة مصادر عسكرية من قياديين في «هيئة تحرير الشام وفيلق الشام».

٤١. «علي اش-شيستاني: «Как и все чеченцы в Сирии, я скучаю по Чечне» [رابط الكتروني](#)

٤٢. لقاء خاص مع قيادي في هيئة تحرير الشام.

٤٣. لقاء خاص مع قيادي في جهاز الأمن العام التابع لتحرير الشام.

المجلس العسكري الثلاثي في إدلب:

على مدار الأعوام الماضية، زادت وتيرة التجاذبات الفصائلية في إدلب، وخضعت لحالة من الشراكة تحت ظروف قاسية جداً خلال عملها في غرفة عمليات واحدة، الأمر الذي دفع بكبرى الفصائل العاملة في محافظة إدلب إلى رفع مستوى العمل التنظيمي والإداري والعسكري عبر تشكيل المجلس العسكري لمحافظة إدلب بطريقة تشاركية، وذلك بين كل من فيلق الشام الذي يمثل في قيادة المجلس «محمد حوران»، وحركة أحرار الشام الإسلامية التي يمثلها النقيب «أبو المنذر»، وهيئة تحرير الشام التي يمثلها المدعو «أبو حسن ٦٠٠». وبدأ الإعداد لتشكيل المجلس العسكري منتصف أكتوبر/ تشرين الأول من العام ٢٠٢٠، عبر فصل المحاور العسكرية إلى قطاعات مستقلة، كل قطاع مؤلف من عدة ألوية، وكل لواء مقسم إلى عدة كتائب وسرايا وفق الاختصاصات العسكرية والاستخدامات اللوجستية لمتطلبات كل عمل عسكري، ولم ينته المجلس من إعداد المراحل الأولية لفصل القطاعات كونه اشترط إعادة تدريب المقاتلين والكوادر العسكرية وإخضاعهم لدورات عسكرية اختصاصية يتم فيها قبول الناجحين بتلك المعسكرات وإعادة تدريب الراسيين وتمكينهم من العمل العسكري بكفاءة عالية.

بعض المصادر المقربة من المجلس أفادت بأن «الخطة تتلخص بتشكيل ١٠ ألوية من تحرير الشام و ١٠ ألوية من فصيل فيلق الشام و ٥ ألوية من حركة أحرار الشام ولواء من جيش الأحرار ولواء من فصيل صقور الشام، إضافة إلى ألوية أخرى مشكلة من مجموعات من فصيل جيش العزة وبعض الكتائب المستقلة»، ومن المقرر أن يتكون كل لواء من ٦٠٠ عنصر، موزعين على النحو الآتي: ١٠٠ قوات خاصة نخبة و ٢٠٠ قوات مشاة، و ٣٠٠ صنف عسكري باختصاصات المدفعية والقنص ومضادات الدروع والهندسة، والتحصين، والمضادات الجوية، والاستطلاع. (٤٤)

الهيئة الشرعية:

وهي مؤسسة دينية تشرف على مراقبة سلوك القادة العسكريين وتمسكهم بالشريعة الإسلامية. وإعطاءهم محاضرات شرعية ويتأخر المؤسسة الدينية في جبهة النصر مرجع ديني كبير يسمى (القاضي الشرعي العام). ويعمل إلى جانبه مشرفون شرعيون يخدمون في كل قواطع النصر، ويقومون بمهام أخرى كغرس الايديولوجية الدينية للناشئة أو المنتمين حديثاً للتنظيم. ومن ملحقات الهيكل التنظيمي للنصرة:

حكومة الإنقاذ:

أعلن عن تشكيل "حكومة الإنقاذ" في الشمال السوري، في ٢ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٧. وهي الجناح السياسي والإداري والمدني الناعم للهيئة، وتشكلت من ١١ حقيبة وزارية برئاسة محمد الشيخ حينها، إضافة إلى وزارات الداخلية، العدل، الأوقاف، التعليم العالي، التربية والتعليم، الصحة، الزراعة، الاقتصاد، الشؤون الاجتماعية والمهجرين، الإسكان والإعمار، والإدارة المحلية. وعقب ذلك سلّمت «الإدارة المدنية للخدمات» التابعة لـ«هيئة تحرير الشام» مؤسساتها الخدمية لـ«حكومة الإنقاذ» من مياه وكهرباء ومواصلات وغيرها. وبدأت الحكومة بفرض سيطرتها على المنطقة، ووجهت في ١٢ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٧، إنذاراً إلى «الحكومة السورية المؤقتة» يقضي بإمهالها ٧٢ ساعة لإغلاق مكاتبها في محافظة إدلب شمالي سوريا والخروج من المنطقة.

ومع انعقاد المؤتمر السنوي الأول للهيئة التأسيسية، في ١١ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٨. أسفر الاجتماع عن تعيين فواز هلال رئيساً جديداً لـ«حكومة الإنقاذ» خلفاً لمحمد الشيخ، إضافة إلى دمج وزارة الإسكان وإعادة الإعمار ضمن وزارة الإدارة المحلية والخدمات، ودمج وزارة الزراعة ضمن وزارة الاقتصاد. (٤٥)

وفي ظل اتهامات لحكومة الإنقاذ بتبعيةها لـ«هيئة تحرير الشام»، اعتمدت، بشكل مفاجئ وبعبداً عن التوقعات، علماً جديداً لإدلب مؤلفاً من أربعة ألوان، وهو خليط بين علم الثورة السورية والراية الإسلامية.

وجاء اعتماد العلم الجديد بموجب قرار صادر عن الهيئة التأسيسية، وقالت فيه، يعتمد علم واحد وراية للمناطق المحررة مؤلف من أربعة ألوان، هي اللون الأخضر من الأعلى والأبيض في الوسط وفي الأسفل اللون الأسود». وصادق ما يُسمى بـ «مجلس الشورى العام»، عبر بيان صدر في ٢٧ من كانون الأول/يناير من العام ٢٠٢٠، على تشكيلة حكومية جديدة للإنقاذ بـ «وجوه متكررة»، وذلك في دورتها الرابعة لها حيث لم تطرأ تغييرات تذكر على معظمهم المناصب الوزارية، وباتت عبارة عن تبادل للأدوار بين مؤسسات الحكومة.

وقالت «وكالة أنباء الشام» التابعة لحكومة الإنقاذ إن أعضاء «مجلس الشورى العام» صادقوا على تشكيل ٩ حقائب وزارية حيث جرى تعيين الدكتور «بسام صهيوني» وزيراً للتربية والتعليم، و«فايز الخليف» وزيراً للتعليم العالي والبحث العلمي، يُضاف إلى ذلك تعيين «محمد الأحمد» وزيراً للزراعة والري، و«أنس سليمان» وزيراً للعدل، و«أيمن جبس» وزيراً للصحة، و«قتيبة الخلف» وزيراً للإدارة المحلية والخدمات. وجرى تعيين «حسام حاج حسين» وزيراً للأوقاف والدعوة

٤٤. المجلس العسكري الثلاثي في إدلب.. التطورات والهيكلية والأهداف، موقع تلفزيون سوريا، [رابط الكتروني](#)

٤٥. "حكومة الإنقاذ" من التأسيس إلى السيطرة على إدلب، موقع عنب بلدي، [رابط الكتروني](#)

الإرشاد، و «أحمد لطوف» للداخلية و«باسل عبد العزيز» للاقتصاد والموارد، بحسب ما ورد في بيان نقلته وكالات الأنباء المقربة من حكومة الإنقاذ.

ونعت حكومة الإنقاذ في ٧ من نيسان/ أبريل الفائت، وزير التعليم العالي والبحث العلمي في حكومة الإنقاذ السورية فايز الخليف، بعد العثور على جثته بالقرب من قرية التوامة بريف حلب الغربي، بعد أيام من اختفائه. وفُقد الخليف صباح الثالث من أبريل/ نيسان، بعد خروجه من منزله بمدينة إدلب، أثناء توجهه لعمله في مقر حكومة الإنقاذ في مدينة إدلب، وينحدر الخليف من قرية الرصافة التابعة لمدينة سراقب بريف إدلب الشرقي. (٤٦)

وأعلن جهاز الأمن العام التابع لـ«هيئة تحرير الشام» في بيان له عبر معرفاته الرسمية في مواقع التواصل الاجتماعي، السبت ١٠ نيسان/ أبريل، عن تمكنه من إلقاء القبض على العصابة التي خطفت وقتلت وزيراً في «حكومة الإنقاذ»، وعقب التحقيقات مع العصابة تبين الهدف من اختطافه؛ وقتله؛ كان بقصد السرقة وطلب الفدية المالية. (٤٧)

وتشرف «حكومة الانقاذ» على:

دور القضاء:

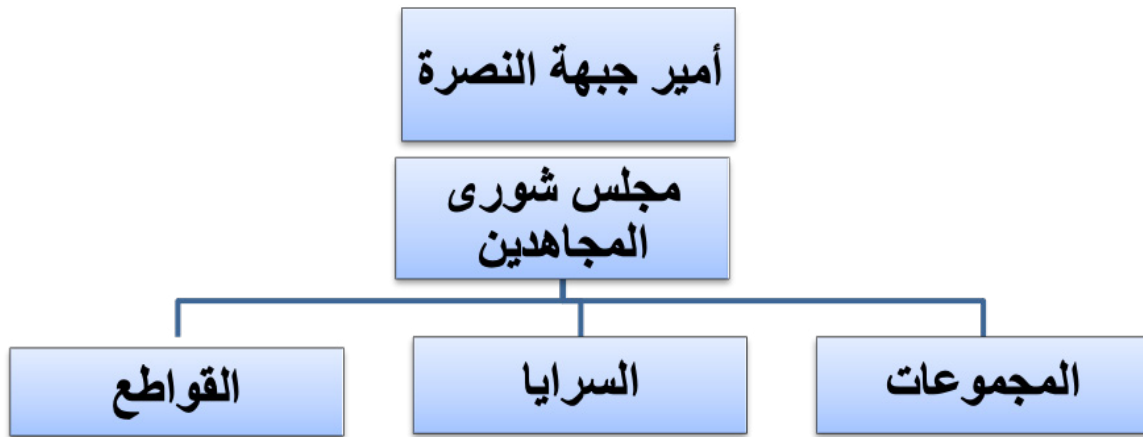
وهي محاكم مدنية الغاية منها الفصل بين الناس في المنازعات، ملأت الفراغ الذي تركته سلطة نظام الأسد في «المناطق المحررة»، يترأس المحكمة قاضي شرعي وإلى جانبه عدد من المحامين، ألحقت مؤخراً بوزارة العدل التابعة لحكومة الإنقاذ المسنودة من هيئة تحرير الشام، وتوجد في كل منطقة محكمة شرعية.

الشرطة الإسلامية:

وهي قوة تنفيذية مهامها حفظ النظام وتنظيم السير، ومراقبة الطرقات العامة، والإشراف على السجون المدنية، كـ «سجن إدلب المركزي، وسجن سرمد، ومراكز التوقيف الكائنة في مباني المحاكم».

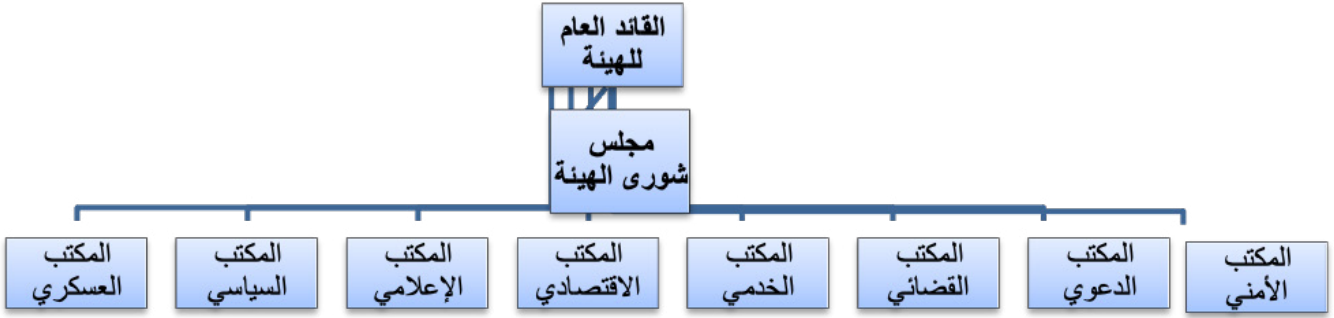
القوة التنفيذية:

هي الأجهزة الأمنية التابعة لوزارة الداخلية في حكومة الإنقاذ (جهاز الشرطة، فرع الأمن الجنائي، فرع المرور)، أيضاً يتخلل مفاصل القوة التنفيذية أمنيين يتبعون بحسب مناطقهم لأمني المنطقة العام يقدمون له التقارير اللازمة والمعلومات غير المتعلقة بقضايا المدنيين، ولدى جهاز الأمن العام الصلاحيات التامة بتحريك واستخدام كوادر القوة التنفيذية عند الحاجة.



الرسم البياني ١: الهيكل التنظيمي لجبهة النصر

٤٦. «ضحيتها وزير».. «تصفية» في إدلب السورية، موقع قناة الحرة، [رابط الكتروني](#)
٤٧. إلقاء القبض على قتلة وزير التعليم في إدلب، موقع شبكة بلدي الإعلامية، [رابط الكتروني](#)



الرسم البياني ٢: الهيكل التنظيمي لهيئة تحرير الشام

مصادر التمويل

يمكن تقسيم مصادر تمويل «هيئة تحرير الشام» إلى عدة أفرع منها «عسكري ومالي وإغاثي»، يقوم الأول على مبدأ ابتلاع الفصائل الأخرى محققة هدفين الأول إزالته من منافستها على مقدرات المحرر والسيطرة، وثانيها هو تحويل جميع ما تسيطر عليه من سلاح ومقرات وعتاد ومقدرات للفصيل إلى عهدها، من شأنه تمكينها عسكرياً وكفايتها على صعيد السلاح والذخيرة، وبدأت بهذا العمل منذ ٢٠١٤ حيث سيطرت على مقدرات أكثر من ٢٠ فصيلاً أولها جبهة ثوار سوريا وليس بأخرها أحرار الشام. (٤٨)

وأبرز موارد تحرير الشام في الوقت الحالي تكمن في:

المعابر الشرعية واللاشرعية:

«باب الهوى، والغزوية» وحسب المعلومات التي تقدمها المصادر، فإن عائدات معبر باب الهوى وصلت شهرياً إلى أكثر من ٤ مليون دولار أمريكي عن طريق إدخال البضائع من قبل التجار والمواد الإغاثية من قبل المنظمات ناهيك عن حركات العبور والترانزيت عبر المعبر. وأما المعابر غير الشرعية، فإنها تفرض سيطرتها من خلال قاطع الحدود على جميع منافذ التهريب إلى تركيا في مناطق حارم وسلقين وخربة الجوز وصولاً لريف اللاذقية، وكذلك منطقة أطمه، حيث تقوم مجموعات تابعة لها بإنشاء مكاتب صغيرة أو خيم تتقاضى مبالغ مالية من الراغبين بالدخول إلى تركيا بطريق غير شرعية، «حيث يتم تقاضي مبلغ يتراوح بين ٢٥ - ٥٠ دولار عن كل شخص، وكل مهرب يخالف توجيهات مكاتب الهيئة يخضع للمساءلة الأمنية ويعرض نفسه للاعتقال». (٤٩)

يقدر مردود معبر باب الهوى بحسب روايات متطابقة من عاملي الجمارك ورواية المنشق عن تحرير الشام أبو العبد أشداء بنحو ١٣ مليون دولار أمريكي شهرياً. (٥٠) علاوة على تهريب البضائع من وإلى مناطق نظام الأسد، إضافة إلى تهريب البشر حيث تتلقى تحرير الشام مبلغ ١٢٠٠ \$ أمريكي عن كل وافد من مناطق النظام إلى مناطق سيطرتها، ومبلغ ٤٠٠٠ \$ عن كل شخص يدخل الأراضي التركية عن طريق معبر باب الهوى الواقع تحت سيطرتها. (٥١)

كما تجني تحرير الشام أكثر من ٣٠ مليون دولار أمريكي سنوياً من خلال تفعيل بطاقات التاجر لغرفة تجارة إدلب الحرة، التي تعتبر بمثابة رخصة لمزاولة التجارة في محافظة إدلب، وتقدم بعض الامتيازات لحاملها كدخول الأراضي التركية ومغادرتها متى يشاء، إضافة لتوفير حماية قانونية أفضل لدى محاكم تحرير الشام الاقتصادية والمدنية. (٥٢)

٤٨. لتمكين نفوذها .. ملايين الدولارات تجنيها اقتصادياً هيئة تحرير الشام في المحرر... تعرف على أبرز مواردها» موقع شبكة شام، [رابط الكتروني](#)

٤٩. لقاء مع أحد أهم المهربين في معبر حارم.

٥٠. الجهادي البارز «أبو العبد أشداء»: الجولاني مخادع كاذب وتاجر في دماء المدنيين والعسكريين... وأكثر من ألف شخص قضاوا تحت التعذيب في سجون تحرير الشام، موقع المرصد السوري لحقوق الإنسان، [رابط الكتروني](#)

٥١. تهريب السوريين إلى تركيا..موت تحت الأرض وفوقها، موقع العربي الجديد، [رابط الكتروني](#)

٥٢. رفع الرسوم لتقليص عدد التجار المقبولين من الأتراك، موقع جيرون، [رابط الكتروني](#)

شركة وتد للمحروقات:

تأسست شركة (وتد للبتروول) بداية العام ٢٠١٨م في إِدلب، لتستورد النفط الأوروبي، وهي تابعة لـ «هيئة تحرير الشام»، واستوردت منذ تأسيسها المئات من الشاحنات التي تحوي مادة البنزين الأوكراني، وأدخلته إلى محافظة إدلب، عبر معبر (باب الهوى) الحدودي، وذلك بعد انقطاع مادة البنزين المستورد من مناطق النظام، بـمدة زمنية لا تتجاوز سبعة أيام حينذاك. ولدى (وتد) مراكز لبيع الغاز ومحطات تكرير ومراكز لاستيراد المحروقات الأوروبية، إضافة إلى أسواق بيع الوقود، وقد اعتمدت من قبل الحكومة التركية لتكون شريكاً في توريد الوقود الأوروبي عن طريق (حكومة الإنقاذ) في محافظة إدلب.

وفي وقت لاحق، قامت شركة (وتد للبتروول) بإدخال كميات أخرى من مادة المازوت الأوروبي، وطرحته في الأسواق بأسعار باهظة الثمن، تزامناً مع انقطاع وصول المازوت من المحافظات الشرقية إلى إدلب، إبان معركة (درع الفرات)، لتقوم بعد ذلك بشراء كافة شحنات البترول القادمة من المناطق الشرقية إلى محافظة إدلب. (٥٣)

الخطف والفدية:

تشير مصادر مختلفة إلى أن قيادات من هيئة تحرير الشام؛ تورطت بعمليات خطف ومبادلة مقابل فديات مالية في المناطق المحررة؛ يديرها أمنيون عبر شخصيات فاسدة ولبص وقطاع طرق، تعتمد على توجيههم للقيام بعمليات خطف لتجار وأصحاب رؤوس أموال ومسؤولي منظمات وصحفيين عالميين وقيادات عسكرية من فصائل شتى، ثم التفاوض للمبادلة مقابل مبالغ مالية ضخمة متفاوتة تتراوح بين ٢٥ ألف دولار، حتى المليون دولار للشخص الواحد حسب موقعه ومركزه الاجتماعي والعائلي، كما في حالة الصحفي الياباني جومبي ياسودا، بعد أن احتجز لدى «هيئة تحرير الشام» التي كانت تسعى للحصول على فدية قدرها ١٠ ملايين دولار أمريكي، مقابل إطلاق سراحه. (٥٤) دون أي تفاصيل عن حجم الصفقة التي أوصلت للاتفاق وقبول الهيئة الوساطة القطرية. بالإضافة إلى مصادر أخرى كتجارة العقارات، والاستثمارات المالية، وشبكات الانترنت والأجهزة الفضائية، وتجارة الآثار والتنقيب عنها، والأفران والمخابز والطحين.

الضرائب:

تقوم حكومة الإنقاذ الذراع المدني لهيئة تحرير الشام، بتنظيم الضرائب والمخالفات على المتاجر والمحال الصغيرة وحتى البراكيات، والمخالفات السكنية والبلدية، والمخالفات المرورية مخالفت المياه والكهرباء، وتضمين الأراضي العامة للمهجرين الراغبين بإنشاء المخيمات، والمئات من أبواب الضرائب جميعها تحال للصندوق المالي في الحكومة، علماً أن كافة الخدمات التي تقدمها حكومة الإنقاذ كرواتب المعلمين أو مشاريع المياه أو الكهرباء أو النظافة هي مقدمة من قبل منظمات المجتمع المدني دون أن تتكلف الحكومة عليها ليرة سورية واحدة.

المعوقات التي تعترض طريق الهيئة

يمكن توصيف إمكانية استقرار هيئة تحرير الشام في إدلب والمنطقة المحررة، بـ«الصعب»؛ لوجود عدد كبير من المعوقات، ومع ذلك لا ينبغي الإفراط في هذا التخيل؛ إذ أن تفوق الهيئة عسكرياً وسياسياً، وعوامل أخرى مساعدة، كفيلة بتجاوز أغلب العقبات، ويتضح أن أهم هذه المعوقات:

داخلياً، بعد المسعى الجديد الذي اتخذته الجولاني و«هيئة تحرير الشام»، يبرز تيار متشدد كعقبة أمام ضمان استقرار الهيئة في مناطق نفوذها، ويرفض الانصياع لقرارات الهيئة، وليس أدل من ذلك تصريحات القاضي الشرعي والعسكري البارز في «هيئة تحرير الشام» (يحيى بن طاهر الفرغلي) المعروف بـ «أبي الفتح الفرغلي»، على قنواته في «تلغرام» والذي شدد على ثوابت لا يمكن التنازل عنها، ومنها: «عدم سلوك الطرق المنحرفة كالبرلمانات وما شابه من أجل تحقيق هذا الهدف، وعدم إعطاء الدنية في ديننا كالموافقة على حكم ديمقراطي أو علماني والذي لا يختلف أهل العلم بالدين أنه ردة وخروج عن دين الله وشرعه». (٥٥)

ووفقاً لهذا التصور، يلجأ الجولاني إلى تقديم «هيئة تحرير الشام» كطرف «وطني» معارض، مع بقاء حربه ضد المتشددين من بقايا خلايا حراس الدين وتنظيم داعش قائماً، لفرض واقع جديد بهدف إخراج الهيئة من دائرة التصنيف الإرهابي.

٥٣. إدلب.. «وتد للبتروول» تحتكر المحروقات وتختلق الأزمات، شبكة جيرون، [رابط الكتروني](#)

٥٤. هيئة تحرير الشام تفرج عن الصحفي الياباني «جومبي ياسودا» بعد وساطة قطرية، موقع مرصد الشرق الأوسط وشمال إفريقيا الإعلامي، [رابط الكتروني](#)

٥٥. قيادي بارز في «تحرير الشام» يطلق تصريحات صادمة بشأن شكل الحكم في سوريا، موقع أورينت، [رابط الكتروني](#)

وخارجياً، على امتداد العامين الأخيرين تعامل الجولاني قائد «تحرير الشام» مع التحولات الطارئة بقدر كبير من البراغماتية بالانتقال من استراتيجية إلى أخرى، ويحاول استغلال الكثير من التحولات استغلالاً ذكياً، بما مكنه على الأقل من اللقاء مع وسائل إعلام عربية بهدف محاولة كسب ثقة الولايات المتحدة للعدول عن تصنيف «تحرير الشام»، وهذا يتوقف على مدى قدرة الجولاني في إحداث تحولات جوهرية لا تتوقف عند الخطاب فحسب.

سيناريوهات مستقبل «هيئة تحرير الشام»

في ضوء المحددات السابقة، يمكن رسم ثلاثة سيناريوهات لمستقبل هيئة تحرير الشام يُرجَّح السيناريو الأول أن يُبقي التحالف الروسي - التركي على محافظة ادلب تحت سيطرة «تحرير الشام»، لفترة محدودة تقتضيها خطة معينة لم يتبلور شكلها بعد، لإخضاع المنطقة والسيطرة عليها، نتيجة موانع وعوائق متعددة، إذ تبرز التداعيات الإنسانية كأهم المعوقات التي تؤجل المعركة، بعد الإثارة الإعلامية الأوربية الكبيرة لهذه المسألة المتعلقة بحركة اللجوء في حال قيام روسيا بشن حرب عدوانية ضد المدنيين، فهناك من يرى أن اقتحام مدينة ادلب ومحيطها المحرر، قد ينتج عنه عواقب وخيمة على السكان؛ لوقوعها في مركز ذي كثافة سكانية عالية، كما قد تشهد المنطقة نزوحاً سكانياً كبيراً باتجاه تركيا ومن ثم إلى أوروبا، وكذلك يشجع طرفي الحرب على المضي في المواجهة المسلحة؛ مما يزيد الوضع سوءاً. وهذا ما بدا من خلال اتفاق أستانا 15 الذي أكد على التهدئة في منطقة إدلب. وبالتالي العدول عن خيار الحسم العسكري لإخضاع المناطق الواقعة تحت نفوذ «الهيئة».

ويتوقع الثاني، أن الخطر الأكبر الذي يهدد «تحرير الشام» يحمل بعداً أيديولوجياً، تبدو فيه الهيئة من الداخل مشتتة بين أطراف عدة، تتقاذفها تيارات متباينة، بعضها يحمل فكر «القاعدة»، ومسألة تفككها موقوفة على مدى استجابة الأطراف الدولية والإقليمية على احتوائها كطرف وطني في المشهد السياسي السوري، وإلا فإن بقاء تصنيفها منظمة (إرهابية) يعني فشل محاولات تيار الجولاني، وتعاقد التيار المتشدد الذي يضم مقاتلين أجانب بأعداد كبيرة داخل الهيئة.

ويميل السيناريو الثالث إلى إمكانية البدء بتنفيذ مشروع تنظيم المنطقة المحررة بجيش موحد يضم جميع الفصائل عبر تشكيل المجلس العسكري لمحافظة إدلب بطريقة تشاركية، وذلك بين كل من فيلق الشام، وحركة أحرار الشام الإسلامية، وهيئة تحرير الشام. وبدأ الإعداد لتشكيل المجلس العسكري منتصف أكتوبر/ تشرين الأول من العام 2020، عبر فصل المحاور العسكرية إلى قطاعات مستقلة، كل قطاع مؤلف من عدة ألوية، وكل لواء مقسم إلى عدة كتائب وسرايا وفق الاختصاصات العسكرية والاستخدامات اللوجستية لمتطلبات كل عمل عسكري والهدف إيجاد مخرج لحل معضلة الهيئة ونزع الذرائع الروسية لاجتياح إدلب وتوحيد القرار العسكري في المنطقة ودعم حكومة الإنقاذ، اقترانا بتطبيق اتفاق إدلب، ومنها إعادة فتح الطرق الدولية، وهو الحل الأكثر واقعية في الوقت الراهن في حال التوافق الروسي التركي سياسياً على إدارة المنطقة المحررة.



مركز أبحاث ودراسات مينا